(٩) الهدية

ومن وسائل تقوية الروابط القلبية، ومن مظاهر السخاء التي تحبب في الناس هي تبادل الهدايا، وقد كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها، وكان يدعو إلى قبولها ويُرَغِّب فيها؛ وذلك لما للهدية من فاعلية وتأثير نفسي على المهدى له؛ لحديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: "تهادوا تحابوا"(٦٣).

وفي الموطأ بلفظ: "تصافحوا يَذْهب الغل، تهادوا تحابُّوا، وتذهب الشحناء"(٦٤).

وليست العبرة بنوع الهدية وإنما بصدق مقدمها، فقد تكون قلماً، أو سواكاً، أو عطراً...، كما أن العبرة ليست في ثمنها، ولكن العبرة بفعلها، وحينما يلمس المحبة والصدق، وبالتالي سيكون لها أثر في نفسه.

مما سبق يتبين لنا أهمية الهدية في التأليف بين القلوب، وفي تعميق أواصر المحبة والمودة بين المسلمين. كما أن للهدية أهمية

obeikandl.com

بالغة في جذب غير المسلمين إلى الإسلام، كما فعل الرسول ﷺ مع صفوان بن أمية حينما أعطاه واديان من إبل وغنم، فأسلم صفوان بن أمية وحسن إسلامه، ثم سَخَّر كل ما يملك لخدمة الإسلام.

فعن صفوان بن أمية رضي الله عنه قال: "لقد أعطاني رسول الله ﷺ يوم حنين، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأَحَبّ الناس إلي"(٦٥).

وعلى هذا فالهدية لا تعني تقديم الأشياء الثمينة، بل إن أي شيء يُقدَّم هدية فهو رمز المحبة، مهما كان الثمن.

ومن الأفضل أن تكون الهدية من الأشياء التي تدوم ويكثر استخدامها، كي يحس بها المدعو لأطول زمن ممكن، وتطول ذكرى الداعية في نفسه، ومن جرَّب هذا فسوف - بإذن الله تعالى - يجد النتيجة إيجابية.

الهدية من أسرع وسائل كسب القلوب

(١٠) إحسان الظن

من الوسائل والأسس التي تكسب بها قلوب الآخرين اجتناب سوء الظن في أخيك المسلم، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[٦٦].

فهذه الآية صريحة في النهي بتجنب سوء الظن بالمسلمين من غير ضرورة تدعو لذلك. فالظن هنا يوقع المسلم في الحرج، ويجره إلى معصية ما، فيعاقبه الله تعالى بسبب ذلك.

كما ثبت في السنة المطهرة التحذير من الظن؛ لما ينجم عنه من وقوع المسلم في الكذب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث"[٦٧].

لأن الذي يسيء الظن في المسلمين يحمل بين جنبيه قلباً مريضاً لا يثق بأحد ولا يحب أحداً، بل إنه لا يثق بنفسه فضلاً عن غيره، ولو كان يحبّ نفسه، خاف عليها من عقاب الله تعالى، وأحب غيره، من باب "حب لأخيك ما تحب لنفسك".

obeikandl.com

فإحسان الظن في المسلمين هو الذي يجعلك تُأول كل نظرة وكل حركة، وكل كلمة، وكل ابتسامة..، في صالح صاحبها، وتحسن الظن به، وتلتمس لأخطائه - إن كانت أخطاء - سبعين عذراً..

وقاعدة "احذر من سوء الظن بالناس"[٦٨]، هي من قواعد كسب الآخرين وفن التعامل معهم. وهذه القاعدة حساسة للغاية، إذ قد يفهمها بعض الناس فهماً خاطئاً، فيكون أحد اثنين:

أما الأول: فهو الذي لا يتفق مع هذه القاعدة، ويرفض إساءة الظن بالناس؛ لاعتقاده أن ذلك مخالف لقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ** ﴾[٦٩].

وأما الثاني: فهو الذي يقبل هذه القاعدة فيسيء الظن في كل الناس دون تمييز، بل ويجعل أساس تعامله مع الآخرين إساءة الظن بهم ابتداءً.

إن كلا الاثنين قد جانبا الصواب، ولذا ينبغي توضيح أن "الحذر من الناس بسوء الظن" عنوان يحتاج إلى تفصيل وإيضاح، وذلك كما يلي:

١ - إن الأصل في تعامل المسلم مع إخوانه المسلمين هو إحسان الظن بهم؛ للآية والحديث المتقدمين.

٢- إن الله تعالى لما نهى عن الظن السيئ قال: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾، ولم يقل: اجتنبوا كل أو جميع الظن، وهذا يعني أن الله تعالى لم ينه عباده عن جميع الظن السيئ، بل سمح لهم في الظن السيئ في بعض الأحيان.

٣ - إن الظن الحسن يكون بالمؤمنين والصالحين، وأهل الخير، أما الكفرة والمشركين والمبتدعة وأهل الفسق والفجور والشرِّ، فلا ينبغي للمسلم أن يحسن الظن بهم، إذ إن هؤلاء النفر خانوا الله ورسوله وفعلوا ما لا يرضى به خالقهم ورازقهم، ومن ثم فهم على خيانة المخلوق أجرأ وأقدر.

إن هذا الصنف من الخائنين لله ولرسوله أقرب إلى المكر والخداع والكيد والكذب منهم إلى الصدق والأمانة والإخلاص والاستقامة، فمن لم يخش الخالق ولم يرعَ له حقاً فلا يُتوقع منه أن يخشى المخلوق أو يرعى له حقاً.

فالحذر من هؤلاء هو الأصل، أي الحذر من هؤلاء العصاة والمخالفين لأمر الله، وذلك بإساءة الظن بهم.

أحسن بصاحبك الظنّ، ما لم يغلبك

obeikandl.com

(١١) التواضع

لقد خلق الله تعالى الإنسان وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، وألبسه حلة الإيمان، وزيّنهُ بأنواع الفضائل ؛ وذلك تتميماً لتكريمه وتفضيله.

والفضائل تلك هي أخلاق رفيعة تحمل صاحبها على السير بين الناس بسيرة حسنه من صدق، وكرم، ومروءة، وحب الخير، وغيرها من الآداب والأخلاق.

والتواضع أحد تلك الفضائل، بل وركيزة مهمة من ركائز التربية الإيمانية في حياة المسلمين؛ ذلك لأنه يضعه في المكان اللائق - أعني مكان العبودية - فلا يبرح هذا المكان ولا يتعدى عليه.

أفلا ترى أن أكثر من نبذوا هذا الخُلُق هم في الحقيقة متعدون على مقام الألوهية؛ لأن الكبرياء والعظمة لله وحده ولا يجوز للعبد أن يتصف بهما أو بأحدهما.

obeikandi.com

والتواضع هو: خفض الجناح، ولين الجانب.

ومما يفتح الله به للداعية في كسب قلوب الآخرين: التواضع، ولهذا يقال: "من تواضع لله رفعه" فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "ما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله"(٧٠). فإن الله يرفعه في الدنيا والآخرة، ويثبت له بتواضعه في قلوب الناس منزلة ويرفعه عندهم ويُجلُّ مكانه، أما من تكبر عن الناس فقد توعده الله سبحانه بالذل والهوان في الدنيا والآخرة ؛ لأن الله عز وجل العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعه ذلك عذّبه.

ورسول الله ﷺ هو الأسوة للدعاة فقد كان متواضعاً في دعوته للناس فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النبي ﷺ رجل فكلمه، فجعل ترعد فرائصه فقال له: "هوّن عليك نفسك فإني لست بِمَلِك؛ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد"(٧١).

وكان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أنه ﷺ مَرَّ على صبيان فسلم عليهم"(٧٢).

وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله، ولم يكن ﷺ ينتقم لنفسه قط، وكان ﷺ يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير، ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي

مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه ولو إلى أيسر شيء.

وكان ﷺ هين المؤنة، ليِّن الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، ليّن الجانب لهم والمعشر.

وكان ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد .

ففي سيرته ﷺ دروس في التواضع.

فمن فوائد التواضع وأثره في سلوك العبد:

١ - أن التواضع من أعظم ما يتخلق به المرء فهو جامع الأخلاق وأُسها، بل ما من خلق في الإسلام إلا وللتواضع منه نصيب، فيه يزول الكبر، وينشرح الصدر، ويعم الإيثار، وتزول القسوة والأنانية والتشفي وحب الذات.

٢ - ومنها: قبول الحق من قائله؛ بغض النظر عن جنسه، أو لونه، أو عرقه، أو منصبه، أو جاهه، أو سِنه أو نحو ذلك.

٣ - ومنها: حسن الاقتصاد والتدبير الناتج عن التواضع في الملبس والمطعم والمشرب والمسكن والأثاث.

وعلى هذا فإنه لا ينبغي لأحدٍ من المسلمين أن يمتنع عن التواضع، أو يجبن عن تحقيقه؛ إذ به تكتسب السلامة، وتورث الألفة والمحبة، ويرفع الحقد، ويشعر الجميع بحقوقهم تجاه غيرهم، والعكس بالعكس، قال ﷺ: "إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحدٍ، ولا يبغي أحد على أحد"[٧٣].

التواضع يورث المحبة

obeikandl.com

(١٢) العفو والصفح

العفو عند المقدرة، والتغافر والتسامح والعفو عن زلات الإخوان وهفواتهم من خُلق المؤمن الذي يكظم غيظه ويعفو عن الناس، وينتحل الأعذار لإخوانه، ويحسن الظن بهم، ويختار من الكلمات ما تطيب به النفوس وتنشرح لها الصدور.

قال الله تعالى: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٧٤)، وقال سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٧٥).

وقال عز وجل: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾(٧٦).

فذكر سبحانه العفو وبعده الصفح، يعني أن أعفو مع الصفح.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾(٧٧)؛ وأكثر من ذلك، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ**﴾(٧٨) فهو سوء، فالقرآن لا ينكر أنه سوء في حقك، فلو

اعتدى على حقك، أو شتمك، أو ضربك، أو أهانك، يقول الله (سوء) ولم يقل (خير) في هذا، لكنه يطلب منك أن تعفو حتى عن هذا السوء. فالمسلم لا يخاصم ولا يعاقب ولا يباغض... إنما هين، ليّن، حبيب، سمح.. ولكن هذا العفو ليس عن ضعف إنما عن مقدرة؛ لختام الآية ﴿**أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾. لما قدّر الله سبحانه أن يؤاخذ العباد عفا عنهم سبحانه وتعالى.

قال في "آداب العشرة"[٧٩] -من آداب العشرة بين الإخوان-: "العفو عن هفوة الإخوان في النفس والمال دون أمور الدِّين والسُّنّة".

أليس جمال الأخوة وكسب قلوب الناس بل جمال الحياة: أن تضمر في قلبك أنك قد غفرت لأخيك تقصيره تجاهك، كلما صافحته، وتقول له ما قاله موسى - عليه السلام - لأخيه هارون: ﴿**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[٨٠].

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: "وأما الأخلاق الفاضلة: كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة..، والحلم، والعفو، والصفح، والاحتمال، والإيثار...، والتغافل عن زلات الناس.. ونحو ذلك، فكلُّها ناشئة عن الخشوع وعلوِّ الهمة.

فمن عَلَتْ هِمَّتُه، وخشعت نفسُه، اتصف بكل خلق جميل، ومَنْ دَنَتْ همّته، وطغت نفسه، اتَّصف بكل خلق رذيل"[٨١]اهـ.

ولذلك لما سُئلت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ قالت: "لم يكن فاحشاً ولا مُتَفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"[٨٢].

فهذه هي الأخلاق النبوية التي ينبغي أن تتجسد في روح المجتمع المسلم وتتعمق في قلوبهم، وبين أبنائه والأجيال تلو الأجيال، وأن تتحقق وتُستشعر عند كل مسؤول وراعٍ، وعند كل من أراد أن يكسب قلوب الآخرين؛ ليكون مجتمعهم مجتمعاً قوياً مترابطاً، ومتراحماً، ومتراصاً كالبنيان المرصوص، لا يتزعزع بأيّ حال ولا يستسلم أمام الأعداء، بل يخوض المعارك بعقيدته، ودعوته، وكيانه الإسلامي كما كان في عهد النبوة وسلف الأمة.

فأمر العفو والصفح، ومقابلة الإساءة بالإحسان كالإعراض عن الجاهلين وهو قريب منه، حيث كونه سبباً لعلو المنزلة، ورفعة الدرجة، فكثيراً ما يكون الصفح عن المسيء والعفو عن زلته دواءً لسوء خلقه، وتقويماً لعوجه، وكسباً لقلبه ورفقته، فيعود الجفاء إلى إلفة، والمناوأة إلى مسالمة.

أما التسرع إلى دفع السيئة بمثلها أو بأشد منها دون نظر إلى ما يترتب عليها من الأثر السيِّئ فدليل ضيق الصدر، والعجز عن كبح جماح الغضب. وإنما يتفاضل الناس في السماحة والسيادة على قدر تدبرهم للعواقب، وإسكاتهم الغضب إذا طغى.

قال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: "أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العَبَدَة".

وعن داود بن الزبرقان قال: قال أيوب: "لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم"[٨٣].

أفضل الناس عند الناس: أعظمهم عفواً

obeikandl.com

(١٣) إجابة الدعوة

من الوسائل لتقوية الروابط الأخوية، وكذلك من الوسائل لكسب الآخرين إجابة دعوتهم، فإجابة دعوة المسلم لأخيه فيها من المحبة والألفة الشيء العظيم وكذلك الآثار التي تعود على كل منهما سواء على مستوى الفرد أو الجماعة إذْ يظهر اطمئنان القلب والمشاعر الأخوية بين الإخوان.. وكيف لا، وهذا المنهج فيه تطبيق لمعاني الأخوة الإسلامية!

فمن حق أخيك المسلم عليك إذا دعاك فأجبه، كأن يدعوك إلى وليمة عرس، أو نجاح، أو عقيقة أو مناسبة كقدوم ضيف أو نحو ذلك، وسواء أكان ذلك من أجل طعام أم شراب فعليك إجابة هذه الدعوة؛ لقوله ﷺ: "... وإذا دعاك فأجبه"(٨٤)؛ ولقوله ﷺ: "ومن دعاكم فأجيبوه"(٨٥)؛ لما في ذلك من جبر لخاطر الداعي؛ وإدخال السرور عليه؛ وكَسبِ أخوته؛ ولأنه من الحقوق العامة بين المسلمين.

كما أنه ما دعاك إلا لأنه أكرمك بالدعوة، فأجبه لذلك إلا أن يكون لك عذر شرعي.

ولهذا ذهب أكثر العلماء إلى وجوب إجابة دعوة الوليمة[٨٦]؛ لقول النبي ﷺ: "إذا دُعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها"[٨٧]، **ولوجوب الإجابة شروط:**

١ - أن تكون الدعوة للشخص بعينه، بأن يدعوك صاحب الوليمة نفسه، أو يرسل شخصاً يدعوك، أو من خلال المكالمة بالهاتف، أو الجوال، أو إرسال بطاقة دعوة، ومثل ذلك الدعوة لجماعة معينين فيلزم الإجابة في كل ذلك.

٢ - أن يكون الداعي مسلماً، عاقلاً، بالغاً، فلا تلزم إجابة دعوة الكافر، ولا المعتوه، ولا الصبي.

٣ - ألاّ تشتمل الوليمة على منكر لا يستطيع تغييره، فإن كان يستطيع تغييره لزمته الإجابة والتغيير[٨٨].

وتتميماً للفائدة فهناك أسباب مبيحة للتخلف عن الوليمة نوجزها في الآتي:

١ - أن تشتمل الوليمة على منكر لا يستطيع تغييره.

٢ - أن يوجد عذر شرعي لدى المدعو يمنعه من الاستجابة، كمرض، أو خوف.

obeikandl.com

٣- أن يحصل له بحضوره ضرر شرعي، كإيذاء من شخص يعلم حضوره للوليمة، أو صحبة سيئة قد قطعهم يخشى بحضوره معاودتهم له، ونحو ذلك.

٤ - أن يكون الداعي ممن يجب هجره شرعاً، ولا مصلحة ترجى من إجابته.

٥ - أن يكون الداعي ممن يخص بدعوته الأغنياء دون الفقراء.

٦ - إذا اعتذر من الداعي فَقَبل عذره؛ لأن ذلك حق له قد أسقطه.

من خلال ما تقدم نخرج بفوائد جمة حول إجابة الدعوة[٨٩]:

١ - فعل ما أمر به الشارع لربط الأخوة الإسلامية.

٢ - إظهار معاني المحبة في الله تعالى.

٣ - أن إجابة الدعوة تدل على الاحترام المتبادل بين الأخ المدعو وأخيه الداعي.

٤ - أن فيها مشاركة لأخيك في سرائه وأفراحه وأتراحه ومشاعره.

٥ - فيها الاهتمام وعدم الاحتقار لهذه الدعوة.

٦ - فيها توثيق وربط هذا التعارف أكثر مما كان في السابق.

٧ - فيها كسب قلوب الآخرين.

مجالس الذكر، شفاء القلوب

obeikandl.com

(١٤) التناصح

"التناصح لا التفاضح". فالنصيحة تعتبر من أهم وأعظم القضايا في هذا الدين، كيف لا؟! وقد بايع الصحابة - رضوان الله عليهم وأرضاهم - رسول الله ﷺ على ذلك، فهذا الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه يقول: "بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"(٩٠).

وهذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنها أحد أرباع الدين، وقال النووي: بل هو وحده محصل لغرض الدين كلّه؛ لأنه منحصر في الأمور التي ذكرها(٩١).

والحديث المتقدم -حديث جرير- قد فقهه سلف الأمة وجعلوه ركناً في عقد أخوتهم، وفقه التابعون ومن جاء بعدهم من الأئمة هذا الركن في عقد أخوتهم، وأخذوا ينبهون الخلف على أهميته، وهذا هو أحد أئمة التابعين الحسن البصري -رحمه الله- يقول: "المؤمن مرآة أخيه، إن رأى فيه ما لا يعجبه سدده وقومه، وحاطه، وحفظه في السر والعلانية"(٩٢).

obeikandl.com

ويقول أيضاً مبيناً الهدف من الأخوة: "أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله، خير لك من أخٍ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً"(٩٣).

وعلى هذا لكي تكسب قلب أخيك، فما وجدت فيه من نقصٍ كملته، وما وجدت فيه من تقصير حفزته؛ لكي يكمل هذا التقصير، وهذا من معاني الأخوة في الله، فالإنسان مهما كان ذكياً، ومهما كان يقظاً، فإنه تفوته أشياء، ومهما كان عالماً، فإنه يقصر علمه دون أشياء كثيرة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾(٩٤)، فقد تغتر بمظهر إنسان، أو قد تغتر بأمر من الأمور؛ لأنك رأيت الظاهر، وخفي عنك الباطن.

فهنا لابد من القيام بواجب النصيحة، "ولا تحتقر نفسك أن تنصحه، وتدله على ما ينفعه في دينه ودنياه، ولو كنت أجهل منه، أو أصغر منه، هذا هو مقتضى المحبة"(٩٥).

فالنصيحة بين الإخوان والأصدقاء هي: "من أهم أنواع النصيحة وأخطرها؛ لتساهل الناس فيها وغفلتهم عنها واستحياء كثير من الأصدقاء من إسداء النصح لإخوانهم حفاظاً على ودهم ومراعاة لاستمرار العلاقة الطيبة بينهما"(٩٦).

قال ابن رجب – رحمه الله –: "ومن النصح الواجب لله أن لا يرضى بمعصية العاصي، ويحب طاعة من أطاع الله ورسوله.

وسُئل ابن المبارك: أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله.

وقال معمر: كان يقال: أنصح الناس لك من خاف الله فيك"(٩٧).

وتتأكد النصيحة عندما يكون الناصح جازماً بالخطر بالنسبة للمنصوح، أو عندما يطلب المنصوح من أخيه نصيحة، ويطلب منه الاستشارة في أمره، قال النبي ﷺ: "وإذا استنصحك فانصح له"(٩٨).

وفي رواية: "إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له"(٩٩).

وعلى هذا فلابدّ من النصيحة،ولا يكتمها إلاّ غاش، والذي يُظهر النصيحة على غير وجهها هذا أيضاً يزيد في الغش؛ لأنه لم يكتفِ بالسكوت عن بيان الحق بل أظهر الباطل وزيّنه ليوقع أخاه فيه.

"وتتعيّن المناصحة بين الإخوان والأصدقاء في الأمور الدينية بصفة خاصة، كما هي مهمة أيضاً في الأمور الدنيوية.

والمناصحة في أمور الدين من الأشياء المفقودة بين كثيرٍ من الإخوان اليوم، بل نجد كثيراً منهم تقوم صداقتهم على مصالح

دنيوية وعلى أهواء شخصية، وعلى المداراة، بل إذا تجرأ أحد ونصح لإخوانه وبصرهم ببعض أخطائهم أو نبههم لانحراف، نُبِذَ وصُنِّف وأُحِيط بالشكوك والظنون السيئة"[١٠٠].

فالمسلم يجب عليه أن ينصح أخاه فيما يصلحه، ولا يدعه للشيطان وهواه وذنبه الذي يهلكه، فالمؤمن بإخوانه النصحاء، قال الشاعر:

ما ضاع من كان له صاحب

يقدر أن يصلحَ من شأنه

فإنما الدّنيا بسكانها

وإنما المرء بإخوانه[١٠١]

ولابد أن يُراعَى عند المناصحة التلطف واللين في الخطاب والشفقة بالمنصوح، "فإذا فعل الإنسان ذلك كان أحبّ إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة"[١٠٢].

ولهذا قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[١٠٣].

كما أن المعاند والجافي والبعيد عن المنهج القويم يحتاج إلى تلطفٍ ولين في الخطاب، والله تبارك وتعالى قد أمر بهذا وهو

منهج مشروع، فقال سبحانه وتعالى - عندما أرسل موسى وهارون إلى فرعون، وهو في غاية العتو والاستكبار والتمرد -: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾[١٠٤].

قال يزيد الرقاشي -عند هذه الآية-:

يا مَنْ يتحبب إلى مَنْ يعاديه

فكيف بمَنْ يتولاه وينادِيه!؟[١٠٥]

فالنصيحة واجبة ولكنها تحتاج إلى اتباع الأسلوب المشروع، كما يجب أن يحرص المسلم عند المناصحة على السر ما أمكن، أي على أن تكون النصيحة سراً بينه وبين المنصوح؛ لأنها إذا لم تكن كذلك كانت فضيحة، لكن إذا اقتضى الأمر البيان بالنسبة لإنسانٍ مجاهر، أو فاجرٍ لا يبالي وذلك بأن تحذر المسلمين منه فهذا أمر آخر، لكن الأصل في النصيحة أن تكون سراً ؛ لأنه أدعى إلى القبول، ومما أَمَر به الشرع.

قال ابن رجب - يرحمه الله -: "وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سراً، حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه سراً فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه.

obeikandl.com

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن من يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر"[١٠٦].

ولقد أجرى مهندس سويسري دراسة على عدد كبير من العمال فوجد أن عدداً كبيراً من هؤلاء يعتبرون أن التأنيب بدون ذنب أمام الأصدقاء أصعب ما يلاقون من متاعب.

وهذه الأمور مهمة جداً للذين يتعاملون مع البشر في أيّ مجال: مجال الدعوة، مجال العمل، ولذلك فقد عُمِلَتْ دراسات إدارية خلصت إلى أن هناك شيئاً مهماً جداً هو "الارتياح الوظيفي" فزيادة على توافر الاحتياجات الغريزية من طعام وشراب ومسكن، والتي قد تحقق شيئاً من الاطمئنان، إلا أنه لابدّ للإنسان أن يكون مرتاحاً في وظيفته، ويشعر بأن له دوراً يرضى عنه، وقد يترك الشخص عملاً إلى آخر أقلّ راتباً بسبب ذلك الارتياح الذي افتقده في الوظيفة الأولى[١٠٧].

من لم يَنْصَحْ لله، وللأئمة، والعامة كان ناقِص الدِّين

(١٥) الإحساس والشعور

من الأسباب والوسائل لكسب قلوب الآخرين: الإحساس والشعور بمصاب أخيك المسلم، كما أن من فقه الأخوة أن تفرح إذا أصابته سراء، وتحزن وتتألم إن مسته ضراء، والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعاً إلى كشف وتنفيس كربة أخيك، فلا تهدأ حتى يزول غمها، وإذا وفقك الله لذلك استتار وجهك فرحاً وسروراً.

"فكلما قوي إيمان المسلم قويت صلته بإخوانه المسلمين في كل مكان، وتعمّقت مشاعره تجاههم، فيفرح لما يحصل لهم من نعماء، ويحزن لما يصيبهم من شدة وبلاء، ويسعى في تخفيف مصابهم، وفي قضاء حاجاتهم، وتنفيس كربهم، والدفاع عن أعراضهم؛ لأنه وإياهم كالبنيان المرصوص، وكالجسد الواحد"[١٠٨].

وأقول: كم نفتقد اليوم هذا الإحساس! وكم نفتقد هذا الاهتمام وهذا الشعور! الذي علمنا إياه ديننا الحنيف، وانتهجه سلفنا الصالح، وقد جرى في دمائهم واستقر في سويداء قلوبهم.

وهذا هو أبو سليمان الداراني يعلِّم أبناء عصره هذه الصفة الإيمانية فيقول – رحمه الله –: "إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني فأجد طعمها في حلقي"(١٠٩).

ولكن ماذا سنقول ونحن نرى إخواننا من المسلمين اليوم يقتلون ويعذبون.. ونحن نرى ونسمع مغور الدبابات والصواريخ والطائرات على إخواننا المسلمين؟!

ماذا نقول ونحن نسمع تلك الألسن وهي تفري بأعراض إخواننا المسلمين، ونقرأ تلك الصحف والمجلات وغيرها التي تفري كالسكاكين المسمومة بأعراض إخواننا المسلمين..!!

أم ماذا سنقول وأعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم يشردون الأطفال، ويرملون النساء، ويهتكون بأعراضهن... والمسلمون – وللأسف – شذر مذر.. لا ألم، ولا حُرْقة، ولا إحساس، ولا شعور تجاه إخوانهم المسلمين..! إلاّ من رحم الله.

مودتك وتعاطفك مع الناس يُشعرهم بالسعادة

obeikandl.com

(١٦) حب إشاعة الخير

من الوسائل لتقوية الروابط الأخوية حب إشاعة الخير، فالأخوة الإسلامية ركيزة أساسية من ركائز حب إشاعة الخير للجميع، ومن نتائج تحقيق الأخوة وكسب الآخرين شيوع روح التعاون وعمل الخير القائم على المودة والصفاء القلبي والتراحم بين المؤمنين.

فما يخرج الإنسان من بيته، أو عمله.. إلا وفي قرارة نفسه أنه يشيع الخير في كل مكان، ولا يشترط أن يكون ثرياً، أو خطيباً، أو عالماً، أو فقيهاً.. فكل ميسر لما خُلق له، بل يبذل الخير بروحٍ سمحة، ونفس طيبة، والنية تسبق العمل، فيقصد بعمله وجه الله، ولا يقصد به أحداً سواه، ويتجرد لربه ولا يلتفت إلى ما سواه استجابة لأمر ربه سبحانه: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾(١١٠).

فإن لم يكن الداعية متحصناً بالإخلاص والصدق في عمل الخير فقد لا تستمر عزيمته ولا يتواصل عطاؤه.

فاستشعار الأجر أيضاً وما يقوم به من أعمال خيرة هو عبادة إذا قصد به التقرب إلى الله عز وجل، يدفع المؤمن والداعية لمزيد من العمل والاندفاع فيه.

ومن أبواب فعل الخير: الإصلاح بين اثنين بالعدل، ومساعدة صاحب دابة ضعيف، بحمله عليها، أو رفع متاعه عليها، ومنها مساعدة من تعطلت سيارته، أو إسعافه، ومنها التصدق بما يستطيع، حتى ولو كان بجزءٍ من تمرة.

ومن مظاهر الخير ووجوهه في الإسلام: الشفاعة الحسنة لمن يستحقها شرعاً؛ لقوله تعالى: ﴿**مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾(١١١).

وبذلك تقضي المصلحة التي كانت معطلة، ويعاد الحق لصاحبه، ويثاب الإنسان الذي ساعد على ذلك.

فالأعمال والأقوال الطيبة، إنما هي مصدر رزق وبركة ونماء للمسلم، ومن ألف عمل المعروف والخير، كافأه الله سبحانه وتعالى بإدامة ثوابها عليه، في حال مرضه أو سفره.

ولا يتم الإصلاح والخير وحبّ إشاعته في الناس عن طريق الإنسان الناقم الساخط، بل عن طريق المسلم الواعي، الذي يطبق

منهج الله في كل ما يأخذ، وما يترك، وما يقدّم للآخرين، دون تواكل أو قناعة زائفة، أو تسخط على فعله.

والمسلم الحق هو أولى الناس بحياة سعيدة طيبة؛ لأنه لا ينفرد بالخير لنفسه، بل يعتبر الأمة شريكة له في الخيرات، وهو خير ما ينطبق عليه قول العقاد: "إن من يحيا يجب أن يعيش في كل صورة من صور الحياة، ويشتهي أن يبسط ظله على كل موجود، ويمدّ شعوره إلى كل مكان، وتخلل بنفسه كل نفس، وينفذ بسريرته إلى كل زاوية من زوايا هذا الكون، ويجعل لحياته مساحة، هي مساحة هذا العالم الذي لا حدّ له ولا نهاية لأشكاله وأزمانه، من يحيا يعز عليه ألا يجد سوقاً ينفق فيها حياته، كما يعز على الغني ألا يجد متاعاً يشتريه بماله"[١١٢] اهـ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ**﴾[١١٣] وهؤلاء الذين أشار الله تعالى إليهم فيهم الفقير، وفيهم الغني، وفيهم الكبير، وفيهم الصغير، وفيهم العالم، وفيهم الجاهل..، لكن الله تعالى أراد منهم أن يكونوا أمة خير. ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾. و(مِنْ) هنا ليست للتبعيض، أي بعضكم

يريد الخير، وبعضكم لا يريد الخير، لا، إنما هذا النداء موجّه إلى كل الأمة.

أيضاً يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١١٤] فهنا قضايا تعبدية، يريد الله فيها السلوك والأخلاق في قضية الخير، فربط الخير بالركوع والسجود وجميع أنواع العبادات.

وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[١١٥].

تخرج الدنيا من القلب: بصفاء الودّ، وحسن المعاملة

obeikandl.com

(١٧) السخاء

السخاء فضيلة من الفضائل التي حث الإسلام عليها وأمر أتباعه بالتحلي بها. وليس مثل السخاء وسيلة في كسب مودة الناس واجتذاب قلوبهم؛ لأن المال عنصر مهم في خدمة الإسلام وفي سبيل قوته وتكثير الناس حوله وتقوية مشاعر الأخوة بينهم. لكن كثير من الدعاة عكسوا الأمر فجعلوا الدعوة وسمعتهم فيها وثقة الناس بهم وسيلة لكسب الثروات وتحقيق المصالح الذاتية، أو بمعنى أدق جعلوا الدعوة جسراً إلى مآربهم الشخصية، وهم الذين تحملهم الدعوة وتتحملهم، بل إن بعضهم لربما حولوا هذه الفضيلة إلى باب الرياء والسمعة[١١٦].

فبواسطة السخاء يملك الإنسان النفوس، ويكسب القلوب، ويحصل على حبّها، ويثق به الناس؛ ذلك لأن القلوب قد جُبلت على حب من أحسن إليها، وفي ذلك يقول الشاعر:

أَحسنْ إلى النّاسِ تستعبد قلوبَهُمُ

فطالما استعبَد الإنسان إحسانُ

وليس المقصود استعباد قلوب الناس، فالقلوب لا تُستعبد لغير

الله -عـز وجل-، وإنما المراد مـعـرفـة الطريق إلى قلوب الناس بالأخلاق الفاضلة، وبالإحسان إليهم، وحسن المعاملة.

فـالمسلم متى قوّى إيمانه بـالله، زهد عـمـا يملك، ورغب فـيـمـا عند الله، فتحقر الدّنيا في عينه، ويهون نعيمها عنده، ويستوي لديه تبرها وترابها، فيجود بما يملك على من لا يملك.

فـالزهد يحرّر النفس من تعلقها بالمادة والأشياء، ويعتقها من حبها للأموال والشهوات، ورغبتها في المدح والثناء، "فما ضعف من ضعف، وتأخر مَنْ تأخر، إلا بحبه للحياة والبقاء، وثناء الناس عليه، ونفـرته من ذمـهم لـه، فـإذا زهد في هذين الشـيـئين، تأخـرت عنه العوارض كلها"(١١٧).

وهان لديه البذل، وشعـر لذة العطاء والجود والسـخاء، فيؤثر غيره بمتاع الدنيـا الزائل، ويترفع عن الدنايا والصغائر ؛ لأنه يجد فيما عند الله عوضاً عما بين أيدي الناس، فيشري أخراه بدنياه، ويترك نعيمها لسواه، فإذا بلغ في الزهد منزلة الصادقين، ظهر في فعله الإخلاص واليقين.

فـلا يردّ سـائلاً، ولا يمنع نائلاً، ولا يضع للسـخـاء حـدوداً ومـعـاييـراً، كـمـا يصنع أشحـاء الميـاسيـر، وإنما يعطي عطاء من لا

يخشى الفقر، ولا يخاف العوز والقهر، مقتدياً بالرسول الكريم ﷺ.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفد ما عنده، فقال: "ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدخره منكم، ومن يستعفِ يُعفه الله، ومن يستغنِ يُغْنِه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً هو خيرٌ وأوسعُ من الصبر"(١١٨).

فالنبي ﷺ لم يرد سائلاً قط، ولكنه يرشده إلى مكارم الأخلاق، ومواطن المروءة، ويدله على سُبل العزة والإباء ؛ ليكون جديراً بالدعوة التي يحملها، والرسالة التي ينتمي إليها.

ومن مظاهر السخاء التي تحبب في الناس، وتكسب القلوب، وتبني العلاقات مع الآخرين: تقديم الهدايا، فالهدية تورث المحبة، ولها منزلة وذكريات خاصة في النفس، وكثيراً ما يغيب هذا المفهوم عند كثير من الدعاة، ليس لعجزه المادي، وإنما هو عدم إدراكٍ لأهمية الهدية، وقد أوصى النبي ﷺ بالهدية، وحث عليها، وبيّن أنها سبب للمحبة، وسبيل الثقة، وأكّدها بقوله ﷺ: "تهادوا تحابوا"(١١٩).

ومن مظاهر الكرم والسخاء أيضاً حسن الضيافة، وهو إكرام الضيف واحترامه. ولأهمية هذا العمل في تقوية الصلات وكسب قلوب الآخرين جعله الرسول ﷺ من الإيمان وشرط له، فقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"(١٢٠).

وقد ضرب لنا الصحابة أروع الأمثلة والصور في السخاء والبذل، بل كانوا يتنافسون في ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار بات به ضيف، لم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نوِّمي الصبية، وأطفئي المصباح، وقربي للضيف ما عندك. قال: فنزلت هذه الآية(١٢١).

فقال تعالى في شأنه: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(١٢٢).

الشجاعة والسخاء أخوان، فمن لم يَجُدْ بماله فلن يجود بنفسه